المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN 2790-1254
العدد 12 A آذار 2024
No.12A March 2024

الاغتراب في شعر المرقش الأصغر (50ق. هـ – 750م)

م.م أحمد خلف أحمد خلف
اللغة العربية(الأدب)/مديرية تربية نينوى

ملخص

يهدف البحث ؛ لدراسة الاغتراب عند الشاعر على اعتبار أنَّه نابع في جميع أحواله من الاحساس المنبعث من ذاته الشاعرة المبدعة وفي نفس الوقت حزينة وقلقه والتي تسعى دوما إلى إبطال الزمكان، وتجاوز أغلال الذات وتحريرها من كبتها النفسي والاجتماعي والوجودي، وقد نشأت هذه الظاهرة بسبب عدة عوامل متماسكة؛ لتكون العائق في وصول الشاعر لمراده، ولتوضيح ذلك جاء البحث في تمهيدٍ ومطلبين وخاتمة: تناولت في التمهيد قسمين الأول الاغتراب بين اللغة والاصطلاح والاغتراب في العصر الجاهلي، والثاني نبذه تعريفيه عن حياة الشاعر، أما المطالب فتناولت في الأول الاغتراب المكاني، والثاني تناولت فيه الاغتراب الزماني، أما الخاتمة فاستعرضت فيها أبرز نتائج البحث التي توصلتُ إليها.

كلمات مفتاحية : الاغتراب ، المرقش

Alienation in the poetry of Al-Marqash Al-Asghar (50 BC - 750 AD)

A. L Ahmed Khalaf Ahmed Khalaf
Arabic Language (Literature)/Ninawa Education Directorate

Summary

the research aims to study the alienation of the poet on the groun that it stems in all its circumstances from the feeling emanating from himself the creative poet and at the same time sad and anxious, which always seeks to nullify space-time, and overcome the shackles of the self and free it from its psychological, social and existential depression, this phenomenon arose due to several coherent factors, to be the obstacle in the arrival of the poet for his purpose, To illustrate this, the research came in a preface, two demands and a conclusion: the first dealt in the preface two sections of alienation between language and terminology and alienation in the ignorant era, and the second is a definition of the life of the poet, but the demands dealt with in the first spatial alienation, and the second dealt with temporal alienation, while the conclusion reviewed the most prominent results of the research is reached

Keywords: alienation, mottling

التمهيد

أولًا: الاغتراب لغة واصطلاحا

لغةً:

جاء في مادة(غرب) بأنَّ الغين والراء والباء أصل صحيح...فالغرب: حد الشيء. يقال: هذا غرب السيف. ويقولون: كففت من غربه، أي أكللت حده وقولهم: استغرب الرجل، إذا بالغ في الضحك، ممكن أن يكون من هذا، كأنه بلغ آخر حد الضحك... والغرب أيضا بسكون الراء، في قولهم: أتاه سهم غرب، إذا لم يدر من رماه به [1] .

أما ابن منظور فقد عرف الغربة بأنَّها الذهابُ والتَّنَحِّي عَنِ الناسِ... وَفِي الْحَدِيثِ: أَن النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَمَر بتَغْرِيبِ الزَّانِي سَنَةً إِذا لَمْ يُحْصَنْ؛ وَهُوَ نَفْيُه عَنْ بَلَده. والغَرْبة والغَرْبُ: النَّوَى والبُعْد، وَقَدْ تَغَرَّب؛ قَالَ سَاعِدَةُ بْنُ جُؤَيَّة يَصِفُ سَحَابًا:

ثُمَّ انْتَهى بَصَري وأَصْبَحَ جالِساً..... مِنْه لنَجْدٍ، طَائفٌ مُتَغَرِّبُ

وَقِيلَ: مُتَغَرِّبٌ هُنَا أَي مِنْ قِبَل المَغْرب. وَيُقَالُ: غَرَّبَ فِي الأَرض وأَغْرَبَ إِذا أَمْعَنَ فِيهَا؛ قَالَ ذُو الرُّمَّة: أَدْنَى تَقاذُفِه التَّغْرِيبُ والخَبَبُ... والنَّوَى: المكانُ الَّذِي تَنْوي أَنْ تَأْتِيَه فِي سَفَرك. ودارُهم غَرْبةٌ: نائِيَةٌ. وأَغْرَبَ القومُ: انْتَوَوْا. وشَأْوٌ مُغَرِّبٌ ومُغَرَّبٌ، بِفَتْحِ الراءِ: بَعِيدٌ؛ قَالَ الْكُمَيْتُ:

عَهْدَك مِنْ أُولَى الشَّبِيبةِ تَطْلُبُ ... عَلَى دُبُرٍ، هيهاتَ شَأْوٌ مُغَرِّبُ [2] .

اصطلاحا:

إنَّ الجذور الأُولى لمفهوم الاغتراب كما أشارت بعض الدراسات إلى أَنَّها يونانية ، وقد ردَّهُ أغلب الفلاسفة إلى كتابات أفلاطون باعتباره أول مؤسس لفكرة الاغتراب بوعي، إذ عدَّ " فكره بذاته أول اغتراب واعٍ، عندما قسم العالم إلى مطلق ووجود، والمطلق هو عالم المثل، والوجود هو عالم الظلال والصور المشوهة، ثم كانت جمهوريته تجسيدا لهذه الصورة الاغترابية"[3]، فأفلاطون كان حتى من ذاته مغتربا حيث يقول بأن الجسد هو مقبرة الروح وأن الخلاص يكمن في الموت وحده [4]، وأول من تناول الاغتراب بوصفه مصطلحا أدبيا هو المستشرق الألماني والعالم النفسي إريك فروم إذ عرف الاغتراب بقوله" ما يعانيه الفرد من خبرة الانفصال عن وجوده الإنساني وعن مجتمعه وعن الأفعال التي تصدر عنه فيفقد سيطرته عليها وتصبح متحكمة فيه، فلا يشعر بأنه مركز لعالمه ومتحكم في تصرفاته"[5]، فالاغتراب ملتصق بالإنسان منذ القدم " فهو من طبيعته بل يمكن القول أنَّه دافع من دوافعه الإنسانية يختلف من أنسان إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر، ذلك أنَّه يتلون بطبيعة صاحبه وبالمجتمع وما يحكمه من أنظمة ومؤسسات وبطبيعة العصر بما يحتويه من قيم وأعراف ومعاني"[6]، وقد عرف شاخت الاغتراب بأنَّه انعدام السلطة والانفصام عن الذات والتذمر والعداء والاعتزال والانفصال والنفور والانزعاج عن التلاؤم والاخفاق وعدم التكيف مع الأوضاع السائدة وقد يكون الاغتراب لظروف اقتصادية في المجتمعات الرأسمالية جراء اغتصاب حقوق الآخرين" [7]، قُسم إلى عدَّةِ اقسام منها " غربة أنطلوجية، ووجودية، غربة المكان، غربة النفس في وطن غير الوطن، ووسط أهل غير الأهل، غربة الروح عن الجذور" [8]، كما وقسمه جان جاك روسو وفقا لمفهوم نظرية العقد الاجتماعي إلى قسمين الأول: اغتراب قسري، ويعود إلى زمن الإقطاعات، إذ كان الإنسان يعيش حالة من الاغتراب القسري الذي يفرضه عليه طبيعة الإقطاع في ذلك الحين، والثاني: اغتراب طوعي، وهذا ناشئ من طبيعة انتظام الإنسان تحت لواء العقد الاجتماعي، وفقدانه بعض المكونات الاجتماعية، والحريات التي يعيشها للدولة؛ وذلك في محاولة للوصل إلى غايته من الحياة الاجتماعية المستقيمة، فإنَّ حماية هذه الحقوق والحريات الخاصة بكل فرد لا بدَّ أن تخضع لبعض ملامح الاغتراب الطوعي من هؤلاء الأفراد"[9].

الاغتراب في العصر الجاهلي

إنَّ القسوة التي فرضتها القبيلة على أبنائها كانت من أبرز اسباب اغتراب الشاعر الجاهلي والتي نتجت عن طبيعة الحياة وما فرضته عليهم من تنقل دائم بحثا عن الكلأ ومساقط الغيث مما دفعهم للوقوف على الأطلال والتي وجدوها فيها خير منفذ للتعبير عن غربة النفس قبل غربة المكان، فهي ليست مجرد تقليد سار عليه الشعراء الجاهليين بل تعتبر المنفذ الرئيسي الذي يعبرون من خلاله عن مواقفهم تجاه الوجود فهي مليئة بالدلالات والتي تكشف عن اغترابين أحدهما مكاني والاخر وجودي، فالاغتراب المكاني قائم على عدم استقرار" ولو رجعنا إلى حياة الإنسان الجاهلي لوجدنا أنها رحلة لا تهدأ وراء الكلأ والانتقال من ماء إلى ماء وتتبع لمساقط الغيث حيث كان، فالهجرة والتنقل تأتي لظروف عصبية على إرادة الإنسان الجاهلي وهو لا يملك له دفعا"[10]، أما الاغتراب الوجودي فيتمثل بسطوة الزمن فالشاعر

الجاهلي وقف عاجزا أمامه وأجبره على الرحيل، فحول الأنس إلى وحشه والخصب إلى الجدب، فسطوة الزمن تُعدُّ معادلا للقوى الغيبية في ثقافة الشعراء الجاهليين والتي تعمل على تعطيل نشاط الإنسان فيقف أمامها مسلوب الإرادة؛ لذا " فقد اتضح أن قلق الموت يرتبط بكل من: القلق بالنسبة للزمن، والخضوع لقيود الزمن، وتملك الزمن والتوجه المعين تجاه الزمن، إنَّ الوعي بالزمن يمكن أن يكون في الحقيقة أحد مكونات قلق الموت بذاته"[11]، فالزمن " يجرد الإنسان من حريته ويلجم إرادته ويسقطه بالشعور بالتعس والاستعباد"[12] .

ثانيا: نبذة تعريفية عن المرقش الأصغر (50ق. ه – 750م)

هو " عمرو بن حرملة بن سعد بن مالك، شاعر مجيد، وفارس شجاع من أهل نجد"[13]، وقيل بأنَّه " ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك: شاعر جاهلي، من أهل نجد. كان أجمل الناس وجها ومن أحسنهم شعرا. وهو ابن أخي المرقّش الأكبر، وعمّ طرفة بن العبد "[14]، أما شكله " فيحكى أنَّه كان شابًّا جميلاً، ومن أحسن الناس وجهاً أزرق العينين كعمه الأكبر"[15]، وقد قيل: إنه " خال طرفة. وهو أحد المتيمين، وسار في المثل: أتيم من المرقش؛ لأنه عشق أسماء بنت المنذر ملك الحيرة، فقطع إبهامه وجداً عليها، وقال:

ألم تر أن المرء يجذم كفه ..... ويجشم من أجل الحبيب المجاشما "[16]

وقد كان من سادة القوم الذين أبلوا بلاءًا حسناً في الحروب، ولهم فيها مآثر جليلة، كما وقد شارك في حرب البسوس ويعدُّ من شعراء الطبقة الثانية وفي أوائل الذين قصدوا القصيد كما وصنفه المؤرخون أشعر من عمه الأكبر وادخله القرشي في جمهرته، وكان- كما نقلت إلينا المصادر- ترعية لا يفارق إبله، له صديق لا يؤثر عليه أحدًا هو ابن عمّه جناب بن عوف، ولم يعرف شيء عن ديانته؛ وكان شيخو قد جعله من شعراء النصرانية قبل الإسلام، أما نهايته فقد قيل بأنَّه عمرَّ أكثر من عمَّه، وتوفي حو(570م) في الستين من عمره على الأغلب[17] .

المطلب الأول

الاغتراب المكاني :

كان للبيئة الجافة دور كبير في شعور الانسان_ في عصر ما قبل الإسلام_ بالغربة، وقد تجلى ذلك الشعور من تمظهراتٍ عديدة من بينها الوقوف على الأطلال، إذ حاولوا من خلال وقوفهم؛ لاستعادة ماضيهم المفقود، وأن يبقوا متشبثين بمنح الماضي عوامل الحياة وأن يبحثوا في أُفق واقعهم المادي عن رموز خلودٍ يمنحوها لطللهم عن معركتهم اليائسة [18]، وقد فصل الدكتور نصرت عبدالرحمن دلالة الطلل بقوله " وفي نسيج الوجود خيطان: خيط الحياة وخيط الموت، والحياة والموت سداة الوجود ولحمته وفي الطلل حاول الشعراء الجاهليون أن يظهروا الخيطين معاً، فظهر القلق من الموت أو الفناء فقد رحل الإنسان الذي نصب الأثافي وطها الطعام ورحل ساكنو البيت ومن هنا يتولد البكاء ولذا بدأ البكاء على الطلل بكاء إنسانٍ قلق يجس بعمق أنَّ الفناء يتربص بالإنسان "[19]، وقد استهل أغلب الشعراء قصائدهم بالمقدمات الطللية، فحاول الباحثون والنقاد أن يجدوا تعليلا مناسبا؛ لظاهرة الاستهلال بالطلل وعلى رأسهم ابن قتيبة إذ قال" سمعت بعض أهل الأدب يذكر أنَّ مقصد القصيد إنَّما ابتدأ فيها بذكر الديار والدمن والآثار، فبكى وشكى، وخاطب الربع واستوقف الرفيق؛ ليجعل ذلك سبباً، لذكر أهلها الظاعنين عنها "[20]، وقد طغى على شعر المرقش الأصغر التشاؤم والضجر والغربة وذم الواقع الذي عاشه، وقد أبدع في وصف الأطلال وكان يقف في أغلب قصائده على ما تبقى من آثار ديار محبوبته، ومن ذلك قوله في وصف أطلال ديار محبوبته مسترجعاً لحظات الوداع [21] :

أَمِنْ رَسْمِ دارٍ ماءُ عَيْنَيكَ يَسْفَـــحُ غَدا من مُقامٍ أَهْلُـــهُ وتَرَوَّحُـــوا
تُزَجّي بِها خُنْسُ الظِّباءِ سِخالَهـــا جَآذِرُها بالجَـــوِّ وَرْدٌ وأَصْبَـــحُ

افتتح الشاعر قصيدته مستفهما من حاله وهو يبكي؛ لما حلَّ بالدار من خراب بعد أن تركها أهلها(وتروحوا)، فالشاعر من خلال هذه اللوحة الطللية جسد ثنائية(الحضور/ الغياب) فبعد أن كانت الدار عامرة بأهلها أقفرت وخلت منهم إلا أنَّها زُجَّت بالحيوانات وأولادها فأصبحت مأوى لهنَّ على الرغم من ضعف حركتهنَّ(تُزجي،، خُنس الظباء سِخالها..جآذرها،،)، وقد حاول الشاعر من خلال هذه الصورة أن يبث الحياة في محاولة لإثبات استمرارية الحياة في أرجاء طلله على الرغم من غياب البشر فيه، فالشاعر من خلال هذه الوقفة اتخذ اتجاهين يمثل أولهما: تعبيرا عن اليأس من الحياة المليئة بالعدم والتلاشي، فيوحي له بالتشاؤم والاغتراب؛ ذلك التشاؤم المقرون بالبكاء على الظاعنين أو على الذين افتقدتهم الديار واستحالت من بعد إلى أطلال مقفرة ومندرسة من أهلها، وثانيهما: تعبيراً عن الأمل في الحياة؛ ذلك الأمل الذي يوحي بالتفاؤل بعد تلك القسوة والصراع المرير في بيئة صحراوية مترامية الأطراف[22] .

إنَّ الشاعر دائما ما كان يتراءى له في مقدمته الطللية وكأنَّه يعيش في مأساة تتصف بالحزن العميق، إذ إنَّ أساسها الفراغ الذي يستشعرهُ بعد رحيل صاحبته[23]، من ذلك وقوفه على رسوم دار_ محبوبته_ ابنه عجلان، فيتذكر ويشكي أرقه وكثرة همومه إذ يقول [24]:

لابْنَةِ عَجْلانَ بالجَوِّ رُسُـــومْ لم يَتَعَفَّيْـــــنَ والعَهْـــدُ قَدِيـــمْ
لابْنَةِ عَجْلانَ إذْ نَحْنُ معـــاً وأيُّ حـــــالٍ منَ الدَّهْـرِ تَـــدُومْ
أَمِنْ دِيارٍ تَعَفَّـــى رَسْمُهـــا عيْنُـــكَ مِنْ رَسْمِهـــا بِسَجُـــومْ
أَضْحَتْ قِفاراً وقَدْ كانَ بهـا فِي سالِفِ الدَّهْرِ أَرْبابُ الهُجُومْ
بادُوا وأَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِهِـمُ أَحْسَبُنِـــي خالِـــداً ولا أَرِيـــمْ

استهل الشاعر قصيدته بالوقوف على رسوم محبوبته وملاعب صباها التي بقيت ملتصقة بالأرض وواضحة لعيان الشاعر وقد برهن ذلك بأداة الجزم والفعل المضارع(لم يتعفينْ)، بعد ذلك ينتقل؛ ليبين ما حلَّ به من غربة وتشرد بفقده (لأبنة عجلان) فصروف الدهر كفيلة بالتفريق، فالدهر يمتلك قوة الإيجاد والإفناء فهو "يترك على الإنسان آثاره من ناحيتين: جسدية وذهنية، فالجسدية تتجلى في تحول الجسم من ضعفٍ الى قوةٍ فالضعف وإما الذهنية فتتبدى في تراكم المعرفة الإنسانية على مستوى الإدراك والخبرة"[25]، فالشاعر ابتدأ البيت الثالث بالاستفهام الإنكاري(أمِن ديار)؛ ليبرهن ما حلَّ بالديار وملاعب صباه من دمارٍ وخرابٍ(تعفى رسمها) بعد أن كانت عامرة بأهلها والموشي ترى في سهولها وجبالها، وقد عبَّر الشاعر عن حالته بعدما صوَّر دياره محبوبته بالبكاء إشارة إلى " فجيعة الإنسان الدائمة المتمثلة في التحول والغياب ومن اشكاله الارتحال والموت"[26] ، فرسوم محبوبته(أبنة عجلانه) تركت في نفسه أثراً بعيد الغور لامس أعماق مشاعره، فأخرج منها وهي المادة المعروفة بالقساوة والخشونة، ألطف الألحان وأعذبها[27] .

المطلب الثاني

الاغتراب الزماني :

لعب الزمن دوراً كبيراً في تفريق الاصحاب باعتباره من أبرز العوامل التي جعلت الشاعر في عصر ما قبل الإسلام يقر بحتمية الموت، وقد صرح الشعراء "عن الدهر بألفاظ شتى فهو: الدَّهر، والزمان، والليالي، والأيام، والصروف، والحوادث، والأعصر، والمنايا . وهم إما يتحدثوا عن الدهر مباشرة، وإما أن يتحدثوا عن آثاره المدمرة فهو الذي يفسد الديار العامرة، ويهلك الشباب، ويذل العزيز، ويحول القوي

الى العاجز"[28]، وقد عُرِفَ الزمن في الأساطير اليونانية بأنَّهُ الإله الذي ينضج بدوره الأشياء ويوصلها الى نهايتها[29]، وقد شكل الدَّهر نظاماً نسقياً، له فاعليته بأنَّ يشكل تصورات للإنسان الجاهلي حول ما يطرحه من موضوعاتٍ في حياته وما يواجهه من صراعات [30]، كما وأنَّه شكل "عند الشاعر الجاهلي هماً اساسياً، فهو المدى الذي يتحرك في أناته، ويحقق فيه أحلامه وأمجاده، أو يفقد فيه الاثنان معاً، فكأنَّ عراكاً خفياً أزلياً يدور بين الأثنين، الزمان والشاعر وتكون الغلبة فيه دائماً للطرف الأُول"[31]، وقد قسم الشاعر الجاهلي الزمن الى زمنان: طبيعي واجتماعي، فالأول هو حركات الكواكب وحدوث الليل والنهار والثاني هو المتغيرات والثوابت التي تتحرك داخل الزمن الطبيعي كالناس والملوك والأحداث والموت والخلود[32]، كما واتصف "في الشعرية العربية بصفة الخارق المعجز، الأمر الذي جعله نسقاً ثقافياً قاراً في نسيج الفكر العربي وتصوراته للغامض والمغيب"[33]، والدهر قوة زمنية له فاعليته الخاصة على اعتبار أنَّهُ يُحزن ويُفرح، ويبكي ويضحك، ويُميت ويُحيي، ويتصرف بأمور الحياة كلها، ولا يصعب عليه التأثير في شيء إنساناً كان أم جماداً، مادياً كان أم معنوياً، وهو موصوفٌ في أغلب النصوص بالظلم والغدر والخيانة[34]، فخوف الإنسان منه يُعدُّ خوفٌ قديم قِدَم صاحبه منذ أن وطئت قدماه الأرض، وما فتئ يحاول الهرب من رقبته، والتخلص من قبضته المحكمتين حول عنقه لكن دون جدوى من ذلك[35]، وقد أقر الشاعر في مواضع من شعره إلى سطوة الزمن باعتباره إرادة غامضة خفية فلا مفر من قبضته ومن هنا جاء تشخيص الزمن في الشعر الجاهلي، فهو حيوان ذو مخالب، وصياد مختبئ دوماً قرب شرعة الماء، وعقاب تنصب من السماء انصبابا على فريستها، وإنسان يكنى بأبي زيد وأبي هبيرة وأبي العجب وأبي الورى[36]، ومن ذلك قوله[37] :

عجباً ما عَجِبْتُ لِلْعاقِدِ المـا ... لِ ورَيْبُ الزَّمانِ جَمُّ الخُبُـولِ

وَيضِيعُ الذي يَصِيرُ إليـــــهِ ... مِنْ شَقاءٍ أَوْ مُلْكِ خُلْدٍ بجيلِ

أَجْمِلِ العيْشَ إنَّ رِزْقَكَ آتٍ ... لا يَرُدُّ التَّرْقِيحُ شَرْوى فَتِـــــيلِ

استهل الشاعر مقطوعته بالتعجب التي جاءت بصيغة المفعول المطلق(عجباً) والاستفهام بـ(ما)؛ للاستهانة بجامع المال ومدخره خاصة وأنَّ صروف الزمان كفيلة بإفساده(وريب الزمان جمُّ الخبول)، فالإنسان من وجه نظر الشاعر "معدوم الإرادة كليا في حياته ووجوده؛ لأنَّهُ لا يعرف أي شيء عمَّا هو مقدر له، وما سوف يصيبه في أي لحظة، وما تخبئه له الأقدار التي تتحكم بوجوده خفية من وراء حجاب الغيب"[38]، وقد برهن الشاعر في البيت الثاني سطوة الزمن على اعتبار أنَّ الذي يقبل إليه مصيره الهلاك والفناء(ويضيع الذي يصير إليه) فهو " قوة خفية تهيمن على حياة الإنسان ويمثل الموت في هذا السياق النقطة النهائية لحياة الفرد وهي نقطة محددة مسبقا"[39]، بعد ذلك ينتقل؛ ليبين طريق يؤمن جمال العيش بعيد عن الهموم والمتاعب فافتتح البيت بأفعل التفضيل(أجمل العيش) وحرف التوكيد (أنَّ) وتكمن مفاتيح ذلك الطريق بالرضى والقناعة(رزقك آتٍ)، فلا يرد إصلاح المال ولو كان ذلك الخيط الذي يشق نواة التمرة .

إن الزمن في طبيعته متقلب فلا يبقى على حالٍ واحدةٍ ومن أبرز حالاته أنَّهُ "يوصف بالتقلّب ، فهو يسُرّ حيناً ويُحزن حيناً، يخذل تارة ويعين تارة أُخرى"[40]، ومن ذلك قوله [41] :

لابْنَةِ عَجْلانَ إذْ نَحْنُ معــــاً ... وأيُّ حـــــالٍ منَ الدَّهْـرِ تَـــدُومْ

أَمِنْ دِيارٍ تَعَفَّـــى رَسْمُهـــا ... عيْنُـــــكَ مِنْ رَسْمِهـــا بِسَجُـــومْ

أَضْحَتْ قِفاراً وقَدْ كانَ بهـا ... فِي سالِفِ الدَّهْرِ أَرْبابُ الهُجُومْ

يصف الشاعر في هذه المقطوعة سطوة الزمن فبعد أن كان يجتمع مع محبوبته(ابنة عجلان) فرقته صروف الدهر، ولم تقف عند هذا الحد بل نسفت الديار نسفا فلم تبقَ منها إلا علامات بسيطة(رسمها) وقد

اقفرت واجدبت (أضحت قفارا) بعد أن كانت عامرة بأهلها والمواشي ترعى في سهولها وجبالها، فالشاعر أيقن بأنَّ الدَّهر يراوغ الإنسان في حياته لذا فهو محكومٌ بصروفه لا تنفعه الحيطة ولا الحذر ولا قوة حزم، فلا طائل أبداً من اتقانه، ولا تنفع حيلة لمواجهته فقد آمن به إيماناً مطلقاً[42] .

لعب الدَّهر دوراً هاما في تبدل أحوال البشر، إذ أنَّهُ يلهو بالوجود الإنساني، فاعلاً به ما يشاء، وإزاء مشيئته تغدو جهود الإنسان هباءً منثوراً[43]، ومن ذلك قوله[44] :

تَبْكِي على الدَّهْرِ، والدَّهْرُ الَّـــــــذِي أَبْكَـــاك، فالدَّمْعُ كالشَّـــــنِّ الهَزيـــــمْ

فَعَمْـــــــــرَكَ اللهَ هَلْ تَـــــــــدْرِي إذَا مـــــا لُمْتَ في حُبِّهَـــــا فِيمَ تَلُـومْ

تُؤْذِي صَدِيقـــــــاً وتُبْـدِي ظِنَّـــــــةً تُحْرِزُ سَهمـــاً وسَهمـــــاً مـــــا تَشِيـــمْ

كم مِنْ أَخِـــــــي ثَرْوَةٍ رَأَيْتُـــــــــهُ حَـــــلَّ علَى مالِهِ دَهْـــــــرٌ غَشُـــومْ

ومن عزِيز الحِمَـــــــى ذِي مَنْعَـــــةٍ أَضْحَـــى وقد أَثَّرتْ فيـــــهِ الكُلـــــــومْ

بَيْنَا أَخُو نِعْمـــــةٍ إِذْ ذَهَبـــــــــتْ وحُوِّلَـــــــــتْ شِقْـــــــوَةٌ إلى نَعِيـــــــمْ

وبَيْنَا ظَاعِـــنٌ ذُو شُقَّـــــــــــــةٍ إِذْ حَلَّ رَحْلاً وإِذْ خَـــــــفَّ المُقِيـــــــمْ

ولِلْفَتَى غَائِـــــــلٌ يَعُولُـــــــــــهُ يا ابْنَةَ عَجْلاَنَ مِنْ وَقْـــــعِ الحُتُـــــومْ

أفتتح الشاعر قصيدته بالفعل المضارع(تبكي)؛ ليوضح حالة من يبكي على الدهر والدهر من أبكاه بلا شك، وقد شبَّه سرعة نزول الدمع كشن صوت الرعد هجوما مضادا على الاسماع، فالشاعر استقطب من خلال هذه الصورة "حالات النفس في تموجها بين مأساة العيش وتخبطها بين الوهم واليقين، وبين تعبيرها عن الوهم الوجودي والاغتراب، وبين مطالبها الجائعة إلى إشباع اللذات الحسية"[45]، وبعدما يصف شدةَّ حبه لمحبوبته ينتقل مباشرة ليصف مرةً أخرى قوة الدهر وجبروته، فيبين أنَّه رأى وسمع ما حلَّ بأصحاب الأملاك والأموال من دمار وخراب إلى حدَّ الإفلاس (حلَّ على ماله دهر غشوم) وحتى العزيز لم يسلم من طعنات الزمن فهو" يسترق الخطى كاللص تحت جنح الليل يمشي على رؤوسنا فتبيض له شعرتنا دون أن نحس، لأنَّ دبيبه وهو يمشي هو دبيب الحياة نفسها"[46]، نستشف مما سبق أن الشاعر ولَّد في القصيدة ثنائية(السالب/المسلب) فالسالب هو (الدهر) باعتباره" " يشكل نظاماً نسقياً، له خصوصيته وفاعليته في تشكيل تصورات الإنسان الجاهلي حول ما يطرح في حياته من موضوعات وما يواجه من صراعات "[47]، والمسلوب هو(الانسان) بتحولات الزمن والمتمثلة بالأطلال والشيب والموت، فالإنسان في عصر ما قبل الاسلام حاول بكل ما أُوتي من قوة أن يستجيب لتحولات الزمن من خلال عدَّة عوامل منها العمل والبحث عن اللذة والإحساس بالعبثية .

إنَّ تقلبات الدَّهر كفيلة بأن تبيّن معادن الناس فهو" متسلط على وجوده، إنَّهُ يترصده، ويدمر خططه ويفرض عليه القهر، ويشعره من بعد بالصغار والضآلة والضعف، وينتهي به إلى مواقف هي مزيج من التألم والتبرم، والتشاؤم والاستسلام "[48]، من ذلك قوله [49]:

أخوك الذي إنْ أَحْوَجَتْكَ مُلِمَّـــــــــةٌ مِنَ الدَّهْرِ لم يَبْرَحْ لها الدَّهْر واجما

وليس أَخوك بالذي إنْ تَشَعَّبَـــــــــتْ عليـــــكَ أمورٌ ظلّ يلحـــــاك دائمـــا

يستهل الشاعر البيتين بلفظ(أخوك)؛ ليبين أنَّ الأخ أو الصديق الحقيقي هو المرافق لك عندما تعصف بك صروف الدهر، فيساندك في الحزن قبل الفرح إذ ليس من السهل أن تجد صديق متمسك بك في كل

أحوالك، فالشاعر جعل من الدهر وشدَّة تقلباته مقياسا حقيقيا للأخوة على اعتبار أن الدهر لا هم له سوى الوجود الإنساني، كما أنَّه يصبح سلطة تسبب العناء والهلاك كما وانَّ الشاعر أعترف بقوة الدهر وقدرته على سلب قدرات الإنسان وشبابه وآماله[50] .

الخاتمة

1-شخَّص الشاعر من خلال وقوفه على ديار قومه الماضي فهو يعبر عن حقيقة مشاعره تجاه الفناء .

2-فرّغ الشاعر من خلال وقوفه على أطلال ديار قومه وملاعب صباه شحنةِ اليأس التي اعتملت في أحاسيسه وعواطفه .

3-على الرغم من تفريغه لشحنة اليأس إلَّا أنَّ الوقوف بحدِّ ذاته كان قد عمق في نفسه مرارة الغربة وعلقمها .

4-أنَّ الشاعر على الرغم من وقوفه على أطلال أهله ومحبوبته لم يكن مكثراً في الوقوف على الأطلال إذ جاء ذلك في موضعين واستخدم في ذلك مفردات منها(رسم دار)و(بالجو رسوم) .

5- أما عن الزمان فعلى الرغم من تظاهر الشاعر بالصبر على نوائب الدهر وتقلباته إلَّا إنَّه أقر إقراراً تاماً بسطوته وقدرته على تفريق الأصحاب والأحباب فهو يمتلك قوة خارقة فهو يراوغ الضحية ولا تنفع معه الحيطة و الحذر.

6- ذكر الشاعر لفظة(الدهر/الزمن) في شعره صراحةً(8 مرات) هذا وإن دلَّ فهو يدل على إيمان الشاعر المطلق بجبروته وسطوته .

قائمة المصادر والمراجع

(1) ينظر: مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: 395هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م: 420/4
(2) ينظر: لسان العرب، دار صادر- بيروت، ط3، 1414 هـ: 638/1 .
(3) الاغتراب والعبقرية، عادل الألوسي، دار الفكر الغربي، القاهرة_ مصر، ط1، 2003م: 12 .
(4) ينظر: الاغتراب، ريتشارد شاخت، تح: كامل يوسف حسين، بيروت، ط1، 1980م: 32 .
(5) الاغتراب في الشعر العباسي_ القرن الرابع الهجري، سميرة سلامي، دار البديع، دمشق_ سوريا، ط1، 2000م: 19 .
(6) الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث، عمر بوقرورة، مشور جامعة باتنة، د. ط، 1945م:
(7) الاغتراب، تر: كامل يوسف حسين، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، د. ط، 1980م: 66 .
(8) الغربة والحنين في الشعر الأندلسي، فاطمة طحطح، المملكة الغربية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ط1، 1993م: 35 .
(9) ينظر: العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، تر: عادل زعيتر، القاهرة_ مصر، ط1، 1954م: 58 .
(10) الاغتراب في الشعر العباسي" القرن الرابع الهجري"، سميرة سلامي، دار الينابيع _ دمشق، ط1، 2000م: 69 .
(11) قلق الموت، د. أحمد محمد عبد الخالق، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب_ الكويت، د. ط، 1987م :128_129 .
(12) ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي، د. أحمد الخليل، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر_ دمشق، ط1، 1989م: 59 .
(13) ديوان المرقشين، المرقش الأكبر همرو بن سعد(ت: 57 ق. ه)، المرقش الأصغر عمرو بن حرملة(ت: 50 ق. ه)، تح: كارين صادر، دار صادر_ بيروت، ط1، 1998 م: 18 .
(14) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين، ط15، 2002م: 4 /16 .
(15) ينظر: ديوان المرقشين: 18 .
(16) نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ابن سعيد الأندلسي، تح: الدكتور نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان_ الأردن، د. ط، د. ت: 1/ 625 .
(17) ديوان المرقشين: 18 .
(18) شعر أوس بن حجر ورواته الجاهلين، د. محمود عبدالله الجادر، دار الرسالة_بغداد،د.ط،1979م:273.

(19) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الأدبي، راجعه ونقحه: عاطف كنعان و د. نبيل حسيني، دار كنوز المعرفة_ عمان، د. ط، 2012م: 181 .
(20) الشعر والشعراء، دار الحديث القاهرة ، د. ط، 1423هـ: 74/1 .
(21) ديوان المرقشين:87-88 . تروحوا: ساروا في الرواح، أي من لدن زوال الشمس إلى الرواح، تزجي: تسوق سوقا ضعيفا، الخنس: قصر الأنف ولزوقه بالوجه، سخالها: أولادها، الجآذر: جمع جؤذر وهو ولد البقرة، الورد: الذي تعلوه حمرة، الأصبح: أشد حمرة منه .
(22) ينظر: الأمل واليأس في الشعر الجاهلي، د. كريم حسن اللامي، دار الشؤون الثقافية العامة_ بغداد، ط1، 2008 م : 81 .
(23) ينظر: مقدمة الأطلال في القصيدة الجاهلية (دراسة موضوعية وفنية)، د. يوسف خليف ، مجلة المجلة ، العدد(100)، 9 نيسان ، 1965م : 37 .
(24) ديوان المرقشين: 94 . الجو: مكان بعينه، لم يتعفين: لم يدرسن، سجوم: كثرة ارسال الدمع، الهجوم: جمع هجمة وهي قطعة الإبل، لا أريم: لا أبرح .
(25) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، د. كريم الوائلي، دار العالمية-مدينه نصر، د. ط، د.ت:91.
(26) الزمن والتحول والبكاء على الأطلال، اميلي نصر الله، 2011م، www. https://alghad. Com .
(27) أثر الصحراء في الشعر الجاهلي، د. سعدي ضناوي، دار الفكر اللبناني، بيروت- لبنان، ط1، 1993م : 219 .
(28) شعرنا القديم والنقد الجديد، د. وهب أحمد رومية، عالم المعرفة- الكويت، د. ط،1996م:194.
(29) ينظر: المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني-بيروت، د.ط،1971م:636.
(30) ينظر: جماليات التحليل الثقافي "الشعر الجاهلي نموذجاً"، د. يوسف عليمات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت،ط4 ،2004م:171.
(31) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، عصمى للنشر والتوزيع-القاهرة،د.ط،د.ت:269.
(32) ينظر: الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم، د. حسام الألوسي ، مطبوعات المؤسسة العربية للدراسة والنشر- بيروت،ط1 ،1980م:55.
(33) جماليات التحليل الثقافي "الشعر الجاهلي نموذجاً"، د. يوسف عليمات، المؤسسة العربية للدراسات والنشر-بيروت، ط4 ،2004م:199.
(34) ينظر: الدهر في الشعر الأندلسي دراسة في حركة المعنى، د. لؤي علي خليل، دار الكتب الوطنية-أبو ظبي،ط1 ،2010م:104.
(35) ينظر: الدهر في الشعر الأندلسي دراسة في حركة المعنى:76.
(36) ينظر: مفهوم الدهر في العلاقة بين المكان والزمان في الفضاء العربي القديم:53-54.
(37) ديوان المرقشين: 92-93 . الخبول: الفساد، أجمل العيش: اطلبه بتؤده واعتدال، الترقيح: إصلاح المال والقيام عليه، الشروى: المثل، الفتيل: الخيط الذي في شق النواة .
(38) الشاعر والوجود في عصر ما قبل الإسلام، باسم قاسم إدريس، رسالة ماجستير، بإشراف: د. محمد فتاح عبيد، كلية الآداب-جامعة الموصل،1992م:93.
(39) مفهوم الدهر في العلاقة بين المكان والزمان في الفضاء العربي القديم:54.
(40) الدهر في الشعر الأندلسي دراسة في حركة المعنى، د. لؤي علي خليل، دار الكتب الوطنية- أبو ظبي، ط1 ،2010م: 123.
(41)ديوان المرقشين: 94 . الجو: مكان بعينه، لم يتعفين: لم يدرسن، سجوم: كثرة ارسال الدمع، الهجوم: جمع هجمة وهي قطعة الإبل
(42) ينظر: الرؤية في القصائد العشر، أفراح عبد محمود الصباغ، أُطروحة دكتوراه، بإشراف: د. مؤيد محمد صالح اليوزبكي، كلية الآداب، جامعة الموصل،2011م:107.
(43) ينظر: ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي، د. أحمد الخليل، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر-دمشق، ط1 ،1989م: 71 .
(44) ديوان المرقش: 95-96 . تشيم: تدخل، الحمى: ما منع وحفظ، الشقة: السفر البعيد، والمعنى أنَّه ليس الناس على حال واحدة ، يغوله: يذهب به ، الحتوم: القضاء .
(45) ظاهرة الزمن في الشعر العربي القديم، نضال الأميونيوكاش، دار الكتب والوثائق القومية-القاهرة، ط2، 2009م: 54 .
(46) لغز الموت، مصطفى محمود، دار العودة- بيروت، د. ط،1972م:10.
(47) جماليات التحليل الثقافي: 171 .
(48) ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي: 50 .
(49) ديوان المرقشين: 100 .
(50) ينظر: جماليات التحليل الثقافي "الشعر الجاهلي نموذجاً: 190 .